افتتاحية

الذوق الأدبي

نستطيع أن نعرّف الذوق الأدبي بأنه «قدرة يميز بها جمال النص الأدبي أو رداءته».. وما من شك في أن الناس يتفاوتون في الذوق الأدبي كما يتفاوتون في تذوق الطعام والشراب.

ومع أن من الصعوبة بمكان أن توضع معيارية للذوق الأدبي، إلا أن النقاد المعاصرين وضعوا مصطلح «الذوق السليم» ليكون معياراً تقريبياً للذوق المتوسط الذي لا يهبط إلى مستوى الذوق السقيم، ولا يرقى إلى مرتبة الذوق المتفرد.

والذوق الأدبي موهبة فطرية، وهو ينمو بالثقافة وسعة الاطلاع، كما ينمو بالدربة والمران على تذوق النصوص.

وللذوق الأدبي العام أهمية بالغة في توجيه الحركة الأدبية، ويذهب الدكتور عمر الدسوقي إلى أن طغيان المادة، وجفاف المياه، وفساد السلائق.. كل ذلك أدى إلى انحراف الذوق الأدبي في العالم العربي نحو الأدب الهابط والأدب الرخيص الذي يثير الغرائز، بل ربما وصل إلى الركاكة والغثاثة.

ومن المؤسف أن كثيراً من الأدباء يتملقون الذوق العام المنحرف، ويقلدهم الآخرون، وبذلك نرى انحطاطاً محزناً في الإنتاج الأدبي شعراً ونثراً، والسبب في رأي الناقد المذكور يعود إلى إهمال الذوق الأدبي العام، وعدم تعهده بالصقل والتهذيب في المنزل والمدرسة والمجتمع، ومع فقدان التوجيه السديد الذي يأخذ بيد القارئ إلى ما يسمو بروحه وعقله وخلقه، ويأخذ بيد الشادين في الأدب فيدلهم على الطريق الأقوم.

ومما يضخم المشكلة أننا ندخل فيما يشبه الحلقة المفرغة، فالأدباء يتملقون الذوق العام المنحرف بإنتاجهم الهابط، والجمهور يقبل على الإنتاج الهابط بسبب انحراف الذوق العام.

ومع أن الذوق موهبة فطري - كما قدمنا - فليس هناك إنسان محروم من قدر معين في الذوق الأدبي، والذي يمكن تنميته بالتثقيف والرعاية والصقل والتهذيب، والممارسة الدائبة.

فأما الثقافة فتقتضي وجود مكتبة في كل بيت شريطة اختيار الكتب الجيدة من أمهات الكتب الأدبية، وعيون الشعر، مع تنمية حب القراءة الواعية الهادفة.

وأما الرعاية والصقل والتهذيب والتوجيه فهي عملية مستمرة تبدأ من الآباء المثقفين لتنتهي بالنقاد المتمرسين الذين لهم دور كبير في مسيرة الأدب وتوجيهه، ويأتي ما بين الآباء والنقاد دور المدارس والجامعات من حيث العناية بتذوق النص الأدبي، وتوجيه الأجيال إلى دراسة أدب التراث، والوقوف عند روائع الشعر القديم، والتوجيه إلى حفظ الكثير منها أو مدارسته، وفي هذا المجال نستطيع أن نسترشد بما ذهب إليه ابن الأثير في ضرورة أن يكثر المرء من حفظ شعر العرب لا شتماله على ذكر أخبارهم وآثارهم، وأنسابهم وأحسابهم، وفي ذلك «تقوية لطبعه، وبه يعرف المقاصد، ويسهل عليه اللفظ، ويتسع المذهب ولا يستغنى عن شعر المولدين المجيدين لما فيه من حلاوة اللفظ، وقرب المأخذ، وإشارات الملح، ووجوه البدائع»

رئيس التحرير